



المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

تقدير موقف | 18 أيار/ مايو، 2021

الهبة الشعبية الفلسطينية: خلفياتها، وأسبابها، وسماتها

وحدة الدراسات السياسية

هي الوحدة المكلفة في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات بدراسة القضايا الراهنة في المنطقة العربية وتحليلها. تقوم الوحدة بإصدار منشورات تلتزم معايير علمية رصينة ضمن ثلاث سلسلات هي: تقدير موقف، وتحليل سياسات، وتقييم حالة. تهدف الوحدة إلى إنجاز تحليلات تلبي حاجة القراء من أكاديميين، وصنّاع قرار، ومن الجمهور العام في البلاد العربية وغيرها. يساهم في رفد الإنتاج العلمي لهذه الوحدة باحثون متخصصون من داخل المركز العربي وخارجه، وفقاً للقضية المطروحة للنقاش.

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2021

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع الطرفة، منطقة 70

وادي البنات

ص. ب: 10277

الضعائن، قطر

هاتف: +974 40354111

www.dohainstitute.org

المحتويات

1. خلفيات هبة القدس
2. أسباب الهبة الأخيرة
3. سمات هبة القدس الأخيرة
5. خاتمة

تشهد فلسطين المحتلة على جانبي الخط الأخضر هبة شعبية شاملة بدأت بوادرها منتصف نيسان/ أبريل 2021، مع وضع سلطات الاحتلال حواجز حديدية في ساحة باب العامود المؤدية إلى البلدة القديمة في القدس والمسجد الأقصى في الأيام الأولى من شهر رمضان. واشتدت مع دعوات المستوطنين المتطرفين إلى اقتحام المسجد الأقصى في 10 أيار/ مايو، بمناسبة احتفالاتهم بذكرى احتلال القدس الشرقية، ومساعي سلطات الاحتلال تنفيذ مخطط لإخلاء عائلات فلسطينية قسراً من منازلها في حي الشيخ جراح في القدس الشرقية وإحلال مستوطنين مكانهم. وتوسعت مع اقتحام جنود إسرائيليين للمسجد الأقصى والاعتداء بالضرب على المصلين فيه، وردّ المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة برشقات صواريخ دفاعاً عن القدس والمسجد الأقصى بعد اقتحام الجنود الإسرائيليين له، ثم بدء جيش الاحتلال عدواناً عسكرياً على قطاع غزة.

خلفيات هبة القدس

تعمل سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ نكبة فلسطين، في أيار/ مايو 1948، على تهويد مدينة القدس، حين احتلت الأحياء الفلسطينية غرب المدينة وطردت سكانها منها؛ مثل القطمون، والطالبية، والبقعة، وقرى فلسطينية مهجرة ضمت إلى القدس بعد طرد سكانها منها مثل عين كارم والمالحة ولفتا. وسيطرت إسرائيل على ممتلكات الفلسطينيين ومنعتهم من العودة إليها عبر سنّها مجموعة من القوانين، أهمها: قانون «أملاك الغائبين» الصادر في آذار/ مارس 1950⁽¹⁾. وبعد حرب حزيران/ يونيو 1967، ضمت سلطات الاحتلال القدس الشرقية إلى الغربية، ومكنت اليهود بموجب أوامر الاستملاك العقاري من السيطرة على منازل وأراضٍ مملوكة للفلسطينيين، وبدأت في إنشاء حزام استيطاني قوامه ثمانين عشرة مستوطنة حول القدس، إضافة إلى إقامة بؤر استيطانية في الأحياء العربية في القدس الشرقية، ووضعت خطة لتهويد معالم القدس الجغرافية والديموغرافية والمعمارية⁽²⁾. وبلغ المشروع الاستعماري ذروته حين سنّ الكنيست الإسرائيلي في تموز/ يوليو 1980 قانوناً عُرف باسم «قانون أساس: أورشلیم القدس عاصمة إسرائيل»، أعلن فيه أن القدس بشطريها الشرقي والغربي هي عاصمة «موحدة» لإسرائيل، وهي مقرّ رئيس الدولة والكنيست والحكومة والمحكمة العليا⁽³⁾.

ورغم رفض مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة في قراره رقم 478 الصادر في آب/ أغسطس 1980⁽⁴⁾، ورفض الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم 36 / 15 الصادر في تشرين الأول/ أكتوبر 1981، قانون الكنيست، وعده غير شرعي ومخالفاً للقانون الدولي⁽⁵⁾، لم تتوقف سلطات الاحتلال عن تنفيذ مشروعها الاستعماري الاستيطاني في القدس، حيث فرضت عدداً من السياسات لترسيم حدود جديدة للمدينة أحاطت بموجبها القدس الشرقية بمستوطنات يهودية تفصلها جغرافياً عن محيطها في الضفة الغربية، مع ضمان ربطها بالقدس الغربية لاستكمال عملية تهويدها، حتى باتت هذه المستوطنات مع منتصف عام 2017 تغطي نحو 35 في المئة من مساحة القدس الشرقية، ويعيش فيها قرابة 220 ألف مستوطن، مقارنة بأكثر من 441 ألف مستوطن في الضفة الغربية⁽⁶⁾. وضمن المسعى نفسه، قامت سلطات الاحتلال ببناء جدار للفصل العنصري

1 "Absentees' Property Law," The Legal Center for Arab Minority Rights in Israel (Adalah), 1950, accessed on 16/5/2021, at: <https://bit.ly/2RYOLhA>

2 محمود محارب، "سياسة إسرائيل تجاه الأقصى"، دراسات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 15 أيار/ مايو 2016، شوهد في 2021/5/18، في: <https://bit.ly/3eWKmDb>

3 "Basic Law: Jerusalem, Capital of Israel," The Legal Center for Arab Minority Rights in Israel (Adalah), 1980, accessed on 16/5/2021, at: <https://bit.ly/3w71NH2>

4 "Resolution 478 (1980) Adopted by the Security Council at its 2245th Meeting, on 20 August 1980," The United Nations Digital Library, 1980, accessed on 16/5/2021, at: <https://bit.ly/2SJ9On1>

5 "Recent Developments in Connexion with Excavations in Eastern Jerusalem," The United Nations Digital Library, 1981, accessed on 16/5/2021, at: <https://bit.ly/2RXscZ0>

6 "الاحتلال الإسرائيلي: 50 عاماً من السلب"، منظمة العفو الدولية، حزيران/ يونيو 2017، شوهد في 2021/5/16، في: <https://bit.ly/2S5hWj>

في الضفة الغربية، فصلت بموجبه أكثر من 140 ألف فلسطيني من القدس عن مدينتهم، وحرمت اقتصاد المدينة من عماده وهو تقديم الخدمات للقرى المحيطة ومدن أخرى في الضفة الغربية، كما حرمتها من مصدرها الرئيس للخضروات والفاكهة بعزلها عن قرى شمال غرب القدس⁽⁷⁾، وذلك بعد ضرب قطاع السياحة باستيلاء القدس الغربية وقطاع السياحة الإسرائيلي على غالبية زوار المدينة المقدسة التي تحولت إلى محطة فقط في جولتهم داخل إسرائيل.

وقد تزامن التوسع الاستعماري خارج حدود المدينة مع تضيق سلطات الاحتلال على التطور العمراني للفلسطينيين داخل حدود المدينة، وذلك باستعمال التخطيط الحضري آليةً لمصادرة الأراضي ومحو الوجود الفلسطيني من أجل تحقيق أغلبية يهودية في القدس. وضمن المسعى نفسه، ألغت سلطات الاحتلال حتى نهاية عام 2017 مكانة «الإقامة الدائمة» (التمثلة ببطاقة الهوية الزرقاء) لأكثر من 14595 فلسطينياً يسكنون في الأحياء العربية في القدس، وهي وثيقة منحتها سلطات الاحتلال للمقدسيين بعد احتلالها القدس؛ إنها أقل من المواطنة، ولكنها تضمن الإقامة الدائمة، وكأن المقدسيين دخلوا إلى إسرائيل وحصلوا على إقامة فيها، وليس العكس. وبذلك يخسر المقدسي «إقامته الدائمة» في القدس إذا غادرها مدة تزيد على ثلاث سنوات متواصلة.

إضافة إلى السياسات الاستعمارية في القدس، تعكف أحزاب يمينية مختلفة في الكنيست منذ آب/ أغسطس 2014 على تشريع لتنفيذ مخططٍ للتقسيم الزمني والمكاني في المسجد الأقصى، ما يعني تخصيص أوقات ومناطق محددة لدخول المسلمين إلى المسجد الأقصى، وأخرى لدخول اليهود، في استنساخ لتجربة المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل⁽⁸⁾. وقد تزامن العمل على تشريع هذا المخطط مع ممارسة سلطات الاحتلال سلسلة من الانتهاكات المتصاعدة والممنهجة في المسجد الأقصى ومحيطه خلال السنوات الأخيرة، مثل إغلاق بوابات المسجد أمام المصلين والعاملين فيه في تشرين الأول/ أكتوبر 2014، ومحاولة تثبيت بوابات إلكترونية على مداخل المسجد في تموز/ يوليو 2017، كما كثفت سلطات الاحتلال من عمليات إبعاد الفلسطينيين عن المسجد الأقصى واعتقالهم؛ إذ بلغ عدد المبعدين عن المسجد عام 2020 نحو 315، وبلغ عدد المعتقلين نحو 1979. وغالبًا ما تقوم قوات الاحتلال بقطع أسلاك سماعات المسجد الأقصى الخارجية، وتتعرض لموظفي دائرة الأوقاف الإسلامية، وتخرب أقفال أبواب المسجد الأقصى ومرافقه، وتقتحم المسجد الأقصى على نحو متكرر لحماية دخول مستوطنين يهود متطرفين إليه؛ فقد بلغ عدد المستوطنين الذين اقتحموا المسجد عام 2020 أكثر من 18526 مستوطنًا⁽⁹⁾.

أسباب الهبة الأخيرة

نظرًا إلى تمتعها برمزية سياسية وتاريخية ودينية لدى الفلسطينيين، ونتيجة لبقائها خارج اتفاقيات أوسلو وخارج نفوذ السلطة الفلسطينية بوصفها من قضايا الحل الدائم، ظهرت القدس بوصفها بؤرة احتكاك بين السكان الفلسطينيين وقوات الاحتلال تقود إلى تفجر حالة الاحتقان والغضب الشعبي ضد الانتهاكات الإسرائيلية الممنهجة فيها، والتي شكلت عامل استفزازٍ لمشاعر الفلسطينيين طوال سنوات نضالهم ضد الاحتلال، وبرز ذلك تحديدًا في هبة النفق احتجاجًا على حفر نفق أسفل المسجد الأقصى في أيلول/ سبتمبر 1996، والانتفاضة الفلسطينية الثانية أو انتفاضة الأقصى في أيلول/ سبتمبر 2000. كما اشتدت هذه المواجهات

7 "جدار الفصل"، المركز الإسرائيلي لحقوق الإنسان في الأراضي المحتلة "بتسليم"، 2017/11/11، شوهد في 2021/5/17، في: <https://bit.ly/3oqnDTq>

8 "قريع يحذر من مياشرة الاحتلال بإجراءات لفرض التقسيم الزمني والمكاني للمسجد الأقصى"، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2014/8/14، شوهد في 2021/5/16، في: <https://bit.ly/3eSGXWe>

9 "القدس في 2020.... انتهاكات واستيطان وتهويد غير مسبوق"، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2021/1/2، شوهد في 2021/5/16، في: <https://bit.ly/3om51nj>

في السنوات الخمس الأخيرة، وذلك في هبة القدس، أو «هبة أكتوبر» في تشرين الأول/ أكتوبر 2015، وهبة البوابات الإلكترونية حول المسجد الأقصى في تموز/ يوليو 2017، وهبة باب الرحمة في المسجد الأقصى في شباط/ فبراير 2019⁽¹⁰⁾.

ومع بدء شهر رمضان في نيسان/ أبريل 2021، تصاعدت انتهاكات سلطات الاحتلال بحق القدس والمسجد الأقصى، بغرض تنفيذ مخطط التقسيم الزمني والمكاني، وبرز ذلك بوضع حواجز حديدية لمنع الفلسطينيين من المكوث في ساحة باب العامود، واعتقال شبان وأطفال مقدسيين كانوا في المسجد الأقصى، واقتحام المسجد وإخراج المصلين منه، والاعتداء على كل من يحاول الوصول إلى كنيسة القيامة للاحتفال بسبت النور في نيسان/ أبريل 2021، وحماية مستوطنين متطرفين دعوا إلى اقتحام المسجد الأقصى. وقد تزامن هذا التصعيد مع دخول قرار المحكمة العليا الإسرائيلية الصادر في أيلول/ سبتمبر 2020 حيّز التنفيذ في 2 أيار/ مايو 2021، والقاضي بطرد أربع عائلات فلسطينية من حي الشيخ جراح في القدس الشرقية، وتسليم بيوتهم لصالح شركة «نحلات شمعون» الاستيطانية، وهي جمعية استيطانية يهودية تتألف من نحو 40 عائلة يهودية مهاجرة من جورجيا، تدّعي ملكية الأرض المسماة «كرم الجاعوني»⁽¹¹⁾. وكانت عائلة الكردي قد تعرضت للطرد من جزء من منزلها في الحي في تشرين الثاني/ نوفمبر 2008 وتكرر المشهد في آب/ أغسطس 2009 بطرد عائلتي حنون والغاوي من منزليهما في الحي ذاته.

وتعمل الجمعيات الاستيطانية داخل البلدة القديمة وخارجها على نحو مثير ومنهجي على نقل ملكية عقارات عربية من بيوت وأراضٍ لتوطين مستوطنين متطرفين داخل الأحياء العربية، وذلك بدعم مالي سخي من ممولين يهود كبار في الولايات المتحدة وغيرها، وتعمل على نحو منهجي برعاية وزارات إسرائيلية وبلدية القدس.

سمات هبة القدس الأخيرة

رغم أن النضال الفلسطيني في القدس مستمر منذ احتلالها، فإن ثمة سمات تميّز الهبة الأخيرة، أهمها:

1. بروز المقاومة الشعبية العفوية على نضال المقدسيين بعيداً عن العمل الحزبي والفضائلي المنظم. فبعد حراك عفوي شبابي غير منظم، أجبر المقدسيون الشرطة الإسرائيلية على إزالة الحواجز الحديدية من ساحة باب العمود في 25 نيسان/ أبريل 2021، بعد أسبوعين على نصبها. كما دفع نضال المقدسيين بمشاركة شباب وطلاب جامعيين من أراضي الـ 48 المحكمة العليا الإسرائيلية في 9 أيار/ مايو 2021 على تأجيل البتّ في ملف طرد عائلات فلسطينية من منازلها بحي الشيخ جراح، بعد طلب قدّمه المستشار القانوني للحكومة الإسرائيلية، أفيخاي مندلبليت، جاء عقب مظاهرات يومية طالبت بإنقاذ الحي من التهجير القسري والتطهير العرقي لسكانه. كما قدّم المقدسيون والمتضامنون معهم، مستفيدين من تراكم خبرة نضالية في السنوات الخمس الأخيرة، أشكالاً متنوعة من المقاومة الشعبية ضد سلطات الاحتلال؛ فضلاً عن المظاهرات اليومية، كنفوا من استعمال وسائل التواصل الاجتماعي لإيصال صوتهم إلى العالم وتشجيع الفلسطينيين على القدوم إلى القدس، وتكثيف تفاعل عدد من المؤثرين على وسائل التواصل الاجتماعي في العالم لكتابة منشورات ونشر صور وتسجيلات مصورة عن جرائم الاحتلال

10 كمال جهاد الجعبري، "المقاومة الشعبية في القدس: الهبات والجراكات وولادة الحالة الشعبية 2012-2019"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2021/5/10، شوهد في 2021/5/17، في: <https://bit.ly/3eSKoMt>

11 "العليا" الإسرائيلية تنظر باستئناف على قرار إخلاء 4 عائلات من حي الشيخ جراح"، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية "وفا"، 2021/5/2، شوهد في 2021/5/16، في: <https://bit.ly/3w73oww>

في القدس. كما تعززت أشكال التضامن والتكافل الاجتماعي في القدس، بإقامة الصلوات وتناول الإفطار الجماعي في شهر رمضان، وتعزز أيضاً تفاعل المقدسيين مع حضور فلسطينيي الداخل إلى القدس، ولا سيما عندما قامت سلطات الاحتلال بمنع المصلين القادمين من الداخل من الوصول إلى القدس، وإنزالهم من حافلاتهم، فقام المقدسيون بنقلهم بسياراتهم وباصاتهم إلى القدس.

2. قررت حركة حماس في غزة أن تتفاعل مع ما يجري في القدس، بحيث يكون ثمة ردع فلسطيني ما ضد إجراءات الاحتلال فيها، ولا سيما أن هناك تجاهلاً دولياً للقدس منذ نقل السفارة الأميركية إليها، وعجزاً فلسطينياً رسمياً عن فعل أي شيء. وفي غياب إطار وطني شامل يجمع القوى الفلسطينية الرئيسية، جاء قرار حركة حماس منفرداً. وقد تفاعلت فصائل المقاومة في غزة مع هبة القدس بإطلاقها عملية «سيف القدس» التي أظهرت تطور قدراتها النوعية في صناعة صواريخ محلية اخترقت القبة الحديدية الإسرائيلية ووصلت إلى مناطق مختلفة داخل إسرائيل. وفي غضون أسبوع من إطلاق عملية «سيف القدس»، أطلقت فصائل المقاومة أكثر من 3000 صاروخ تجاه إسرائيل، أي قرابة 500 صاروخ في اليوم الواحد (12). وعلاوة على كثافة النيران، برز أيضاً تطور نوعية الصواريخ ومداهها، ولا سيما صاروخ A120، الذي أطلقته فصائل المقاومة تجاه القدس المحتلة في 10 أيار/ مايو، وحمل رؤوساً متفجرة ذات قدرة تدميرية عالية ويصل مداه إلى 120 كيلومتراً. كما برز صاروخ «عياش 250» الذي أطلقته فصائل المقاومة تجاه مطار رامون الدولي في 13 أيار/ مايو، ووصل مداه إلى 220 كيلومتر، وهو أبعد مدى وصله صاروخ فلسطيني منذ أول صاروخ أطلقته فصائل المقاومة عام 2001 تجاه مناطق إسرائيلية. كما نفذت فصائل المقاومة هجمات باستعمال طائرات مسيرة محلية الصنع من طراز «شهاب»، تستعمل لأول مرة، استهدفت مراكز إسرائيلية، بينها منصة غاز قبالة ساحل شمال غزة. وينبغي لنا أن نتذكر أن هذه الصواريخ طوّرت وصُنعت في قطاع غزة في ظل حصار خانق يتعرض له القطاع منذ عام 2007. وفي المقابل، وفي إطار محاولة ترهيب الفلسطينيين وإخضاعهم في غزة، كُثف الجيش الإسرائيلي من عدوانه على المدنيين الفلسطينيين؛ إذ في غضون أسبوع واحد سقط أكثر من 200 مدني فلسطيني في غزة، بينهم 58 طفلاً و34 امرأة، ونزح نحو 34 ألف فلسطيني (13). كما كُثف الجيش من غاراته لتدمير البنية التحتية، إذ بلغ عدد المباني التي قُصفت في غضون أسبوع نحو 90 بناية، بينها 6 أبراج سكنية، 3 منها دُمرت تدميرًا كاملاً، فضلاً عن تدمير محطات المياه، والصرف الصحي، والكهرباء، والإنترنت (14). ولئن كان هدف المقاومة هو إظهار رفض عزل غزة عن بقية الشعب الفلسطيني وإدخال عنصر الردع إلى المعادلة في القدس بحيث لا يستفرد الاحتلال بها، فإن الرد الإسرائيلي التدميري الشامل يهدف إلى منع غزة من تكرار محاولة الردع هذه وتكريس الاستفراد الإسرائيلي في القدس باعتبارها ملقاً خاصاً بإسرائيل حصراً. كما يهدف رد الفعل الإسرائيلي إلى تدمير البنية التحتية التي مكّنت فصائل المقاومة من إنتاج هذا الكم من الصواريخ.

3. مثلت الاعتداءات الإسرائيلية على المسجد الأقصى وحي الشيخ جراح وقطاع غزة المحفز الرئيس الذي دعا الفلسطينيين في مدن الداخل إلى المشاركة الواسعة في الهبة الشعبية الأخيرة. لكن عنف المستوطنين اليهود المتطرفين خلال الأحداث الأخيرة بحماية الشرطة الإسرائيلية، والذي برز مع استشهاد موسى حسونة في مدينة اللد بعد إطلاق مستوطن متطرف يهودي النار عليه في 10 أيار/

12 "No Sign of Israel-Gaza Conflict Ending," *The New York Times*, 17/5/2021, accessed on 17/5/2021, at: <https://nyti.ms/3ootUyO>

13 "34 ألف نازح فلسطيني يلجؤون إلى مدارس 'أونروا' للإيواء"، وكالة الأناضول، 2021/5/17، شوهد في 2021/5/17، في: <https://bit.ly/3uUsizg>

14 "العدوان يتواصل.. بلدية غزة: الغارات استهدفت البنى التحتية والاحتلال يتحدث عن قصف شبكة أنفاق عملاقة"، الجزيرة نت، 2021/5/17، شوهد في 2021/5/17، في: <https://bit.ly/3tRFEuL>

مايو، أشعل انتفاضة شاملة في جَلّ مدن الداخل، ولا سيما فيما يسمى المدن المختلطة التي احتلت عام 1948 والتي يسكنها حاليًا فلسطينيون ويهود. وقد انطلقت مظاهرات حاشدة في مدن وبلدات عربية رفعت فيها أعلام فلسطينية نددت بالعدوان الإسرائيلي على القدس وغزة. وبعد اتساع رقعة المظاهرات في مدن الداخل وأحيائه وقراه، أعلن رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، في 12 أيار/ مايو عن حالة طوارئ خاصة في مدينة اللد، ومنح المفتش العام للشرطة الإسرائيلية، يعقوب شبتي، الصلاحيات بإدخال الجيش الإسرائيلي إلى مدن الداخل لمساعدة الشرطة الإسرائيلية في وقف التظاهرات (15). وقد حفّز ذلك المستوطنين المتطرفين على تصعيد عنفهم تجاه الفلسطينيين، بالاعتداء عليهم في البيوت والشوارع والمتاجر والجامعات، ولا سيما في عكا ويافا وحيفا واللد، واعتقال الشرطة الإسرائيلية أكثر من 700 فلسطيني منذ 9 أيار/ مايو (16)، وإطلاقها الأعيرة المعدنية المغلفة بالمطاط والغاز المسيل للدموع صوب المتظاهرين الفلسطينيين. وقد أكدت الهبة على رفض فلسطينيي الداخل الفصل بينهم وبين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة، وربط مطالبهم بحقوقهم القومية والمدنية بدفاعهم عن القضية الفلسطينية.

4. خرجت مظاهرات محدودة في الضفة الغربية منذ تصاعد وتيرة الهبة الشعبية في 9 أيار/ مايو بادر إليها شباب غير محسوب على القوى والفصائل الفلسطينية، وانضمت إليها فصائل من ضمنها حركة فتح، لكن هذه المظاهرات اتسعت وانتشرت بكثافة بعد صلاة الجمعة في 14 أيار/ مايو، لتشمل مختلف أرجاء مدن الضفة، منها الخليل ورام الله والبيرة وبيت لحم وسلفيت وقلقيلية وطولكرم وأريحا ونابلس، سقط خلالها 11 شهيدًا وعشرات الجرحى. وارتفع العدد إلى 21 شهيدًا، بينهم طفل مع نهاية يوم 16 أيار/ مايو، وهو ما عدّ تصعيدًا عسكريًا إسرائيليًا لمنع الضفة الغربية من المشاركة بكثافة في الهبة الشعبية، مخافة تحولها إلى انتفاضة جديدة، كما حدث عام 2000. وعلى الرغم من مسارعة بعض القوى والفصائل إلى الدعوة إلى «النفير العام» في مختلف محافظات الوطن، بما فيها الضفة الغربية، ظلت استجابة جيل الشباب في الضفة الغربية تؤكد على عفويتها غير المقيّدة بالأطر السياسية، ولا سيما أن شريحة كبيرة منهم تشعر بخيبة أمل من سلوك السلطة والقوى والفصائل الفلسطينية، بسبب تراكمات عدة، آخرها تأجيل الرئيس الفلسطيني، محمود عباس، الانتخابات الفلسطينية في 29 نيسان/ أبريل.

ولا شك في أن هبة الضفة الغربية تتضمن بوادر انتفاضة شاملة يمكن أن تمنع مواصلة الاحتلال سياساته بعد وقف إطلاق النار في غزة، كما يمكن أن تمنع انتكاسة بعد الصمود الأسطوري لغزة. إن تحويل الهبة الشعبية إلى انتفاضة شاملة أمر ممكن لو توافرت الإرادة السياسية لدى السلطة الفلسطينية، وإذا أدركت أنه ليس أمامها بديل آخر.

خاتمة

تنشط جهود دبلوماسية إقليمية ودولية لوقف العدوان الإسرائيلي على غزة وتقييد الممارسات الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في القدس، لكن هذه الجهود ما زالت تصطدم بتعنت إسرائيل مرتبط من جهة برغبة نتنياهو في تحقيق نصر أمام الرأي العام الإسرائيلي بعدما وضعت فصائل المقاومة ستة ملايين إسرائيلي في مرمى صواريخها، وبعدها أظهر الفلسطينيون وحدتهم في مواجهة سياسات التجزئة والتهويد والأسرلة. ومن جهة أخرى، يسعى نتنياهو إلى القضاء على فرص خصمه يائير لبيد، زعيم حزب «يوجد مستقبل»، المكلف في 5

15 "نتنياهو يعطي الضوء الأخضر لتنفيذ اعتقالات إدارية وإدخال الجيش للمدن"، عرب 48، 2021/5/13، شوهد في 2021/5/17، في: <https://bit.ly/2S2Gyap>

16 "1500 معتقل فلسطيني منذ بداية تصاعد المواجهة في القدس"، العربي الجديد، 2021/5/16، شوهد في 2021/5/17، في: <https://bit.ly/3ePVMlY>

أيار/ مايو 2021 بتشكيل حكومة جديدة في إسرائيل. لكن، وبغض النظر عن الطريق التي ستسلكه المواجهات، سواء في اتجاه تصعيد العدوان الإسرائيلي، أو التوصل إلى اتفاق تهدئة عبر وساطات إقليمية ودولية، بات مطلوباً من كل القوى والفصائل الفلسطينية وقف التعامل مع قضية التحرر من الاحتلال وفق مبدأ رد الفعل، والاتفاق على استراتيجية نضالية موحدة تسخر كل أشكال العمل النضالي في الداخل والخارج لخدمة مشروع إنهاء الاحتلال بدلاً من التركيز على تكريس وجود سلطة تخدم وتعزز وتطيل بقاءه. وهذا لا يمكن أن يحصل من دون إطار وطني جامع.